# المنجزات الحضارية لأبي القاسم الزهاوي وإسهاماته في النهضة الفكرية العالمية

**The Civilizational Achievements of Abu Al-Qasim Al-Zahawi And His Contributions to the Global Intellectual Renaissance**


بحث تقدم به

**أ. د. سلام مجيد فاخر**


إلى مؤتمر كلية العلوم الإسلامية

البناء الحضاري والمعرفي وأثره في بناء الشخصية المسلمة


Research presented by

Prof.Dr.Salam Majeed Fakher


To the Conference of the College of Islamic Sciences

University of Iraq

Civilizational and cognitive construction and its impact

on building the Muslim personality


salam.faker@aliraqia.edu.iq

**Abstract:**

Abu Al-Qasim Khalaf bin Abbas Al-Zahrawi Al-Ansari in Madinat Al-Zahra, about his upbringing, life and birth: It is likely that he was born in Madinat Al-Zahra in 325 AH corresponding to 936 AD, with the establishment of the city itself or shortly after. He belongs to a prominent family of the Ansar who migrated from Medina to Andalusia. As for his education: He grew up in a rich scientific and cultural environment, where Islamic civilization flourished in Andalusia.He received his education in medicine and surgery in the city of Cordoba, the capital of Andalusia at the time.He emerged as an outstanding student, and studied under the great doctors of his time.Among his most important achievements: He is the father of modern surgery: He is considered one of the greatest surgeons in the history of medicine, and was nicknamed the "Father of Modern Surgery".He was famous for his precise surgical skills and innovations in the field of surgery.The book "Al-Tasrif liman Ajiza an Al-Ta'leef" is considered one of his most wonderful books.He wrote the book "Al-Tasrif liman Ajiza an Al-Ta'leef", which is a huge medical encyclopedia considered one of the most important medical references in the Middle Ages.The book included a detailed explanation of diseases and methods of treating them, including surgery, pharmacy, and human anatomy.The book was translated into many languages, and greatly influenced the development of medicine in the East and West.As for his inventions: He invented many surgical tools, such as forceps, scissors, and syringes.He developed new surgical techniques, such as hernia surgery, eye surgery, and urinary tract surgery.He was the first to use silk threads to tie arteries after surgery. Among his contributions to Madinat al-Zahra: He was the court physician of the Caliph: He worked as a physician in the court of Caliph Abd al-Rahman III, known as al-Nasir, and then as a physician to his son al-Hakam II al-Mustansir.He established a hospital in Madinat al-Zahra, where he provided treatment to patients from all over Andalusia.He contributed to the spread of medical knowledge in the city by teaching medical students and writing medical books.Al-Zahrawi died in Madinat al-Zahra after the year 400 AH

corresponding to 1013 AD.He left behind a rich scientific legacy that contributed to the advancement of medicine for many centuries.Al-Zahrawi's status: Al-Zahrawi is considered one of the most important figures in the history of Islamic and global medicine. His writings and innovations greatly influenced the development of medicine around the world.His contributions are still taught in medical schools to this day.

**Keywords:**

Civilizational Achievement - Abu al-Qasim al-Zahawi - Intellectual Renaissance - Islam.

## المقدمة

الحمد لله الذي كرم الإنسان بالعقل، وزكاه بالعبادة، ومنحه القدرة والإرادة، وفرض عليه التفكير، وجعل من خطاب التكليف ضرورة النظر في السماوات والأرض، واكتشاف قوانين التسخير، والسنن التي تحكم الحياة والأحياء، والتعرف على الأسباب لاتباعها، وحسن التعامل معها، وبذلك يكون أهلا للتمكين في الأرض، وأداة أمانة الاستخلاف الإنساني، وفق منهج الله، وحمل رسالة الشهادة والقيادة.الحمد لله القائل في كتابه، حكاية عن ذي القرنين : (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا) ، والصلاة والسلام على (خاتم الأنبياء والمرسلين، القائل: لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.) وبعد:

فقد (عرفت الحضارة الاسلامية أطباء وفلاسفة ذا شهرة ومكانة مثل الرازي ومسكويه وابن النفيس والبغدادي والدخواري وابن رشد وغيرهم، وانبهرت الحضارات واستفادت مما تركوه من آثار في مجال العلوم الطبية، على أن واحدا من أطباء الأندلس في غرب العالم الإسلامي كان لتجربته الطبية، ومؤلفاته، بل واختراعاته في هذا المجال، الأثر الكبير في انفتاح الأوروبيين على مجالات الطب والجراحة العربية، وعلى فتح مزيد من الأبواب الموصدة في هذا المجال منذ ألف عام مضت، فكانت حياته ومنجزه ثورة علمية بمقاييس ذلك الزمن! فقد شرح الجرَّاحُ الكبير أبو القاسم الزهراوي علمَ الجراحة، وابتكر طرقا جديدة في الجراحة، امتدَّ نجاحُها فيما وراء حدود إسبانيا الإسلامية بكثير، وكان الناسُ من جَميع أنحاء العالم المسيحي يذهبون لإجراء العمليات الجراحية في قرطبة)[1].

ذلك العبقري الذي لُقّب ولا يزال في الغرب باسم «Abulcasis» هو أبو القاسم الزهراوي الطبيب الذي توفي قبل ألف عام خلت، فمن هو هذا الطبيب العربي الأندلسي؟ وما منجزه الحضاري الذي أكسبه هذه الشهرة في العالمين الإسلامي والغربي؟ وهل بقي من هذا المنجز الطبي شيء حتى يومنا هذا؟

(١) المستشرق الفرنسي جاك رايسلر ، «الحضارة العربية، ص٧٨.

**اهداف الدراسة :**

تهدف هذه الدراسة الى بيان مكانة الزهراوي العلمية والفكرية من خلال ابراز:

١.مساهماته في علم الجراحة.فيُعدّ الزهراوي من أهمّ الشخصيات في تاريخ الطب الإسلامي والعالمي.

٢.مساهماته في علم التوليد وأمراض النساء.فقد أثرتْ مؤلفاته وابتكاراته بشكل كبير على تطور الطب في جميع أنحاء العالم.

٣.مساهماته في علم طب العيون.فلا تزال مساهماته تُدرّس في كليات الطب حتى يومنا هذا.

٤.ابراز مساهماته في علم الأعشاب الطبية، فقد اثرى الزهاوي المكتبة العربية والإسلامية بمعلومات قيمة عن علم الأعشاب الطبية.

٥.توضيح مساهماته في علم الصيدلة، فقد ترجمت مؤلفات أبو القاسم الزهراوي إلى العديد من اللغات الأوروبية، وأثرت بشكل كبير على الطب في أوروبا..

**منهجية البحث:**

يسير هذا البحث بمنهجية وصفية لبيان مكانة ومنجزات الزهراوي العلمية والفكرية انطلاقا من مقولة بناء المعرفة الإنسانية كان على ثلاث ركائز هي (توثيق المعلومة وجمع البيانات وتقييد العلم وارتباط المعرفة بالواقع (ففي سياق ضرورة أن يأخذ المسلمون دورهم في بناء المعرفة الإنسانية، لا بدّ لنا أن نعود إلى الوراء قليلا، إلى أكثر من ألف عام، حتى نرى كيف قال المسلمون كلمتهم في قضية المعرفة؟ وما هي أبرز ركائز المعرفة التي ساهموا في تأسيسها وترسيخها ونقلها للعالم؟ وهل ما تزال هذه الركائز ذات أهمية في السياق المعرفي المعاصر أم إنها تدلّ على عقلية مغرقة في الميتافيزيقيا، غير منظّمة التفكير، غير قادرة على إنتاج معرفة أصيلة كما شاع في الأوساط الاستشراقية قديمًا؟ وهنالك ثلاث ركائز تبنّاها هذا البحث (المنجزات الحضارية لابي القاسم الزهاوي واسهاماته في النهضة الفكرية العالمية) في بناء المعرفة الإسلامية.

**هيكلية البحث:**

وقد تم تقسيم مادة البحث الى:

التمهيد وفيه التعريف بأبي القاسم الزهراوي والكلام عن نشأته وحياته ومولده ووفاته.

ثم المبحث الأول: فكان عن توثيق المعلومة عند الزهاوي، وبعده كان المبحث الثاني: جمع

البيانات وتقييد العلم عند الزهاوي، وأخيرا المبحث الثالث: ارتباط المعرفة بالواقع عند الزهاوي.

**أهمية الدراسة:**

تأتي اهمية الدراسة في الاتي:

١.للوقوف على أسباب إطلاق لقب «أبو الجراحة الحديثة» على الطبيب والجراح العربي المسلم **أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأنصاري**.

٢.بيان منجزاته العلمية المختلفة

أ- **مهاراته الجراحية الدقيقة:** اشتهر الزهراوي بمهاراته الجراحية الاستثنائية، حيث أجرى العديد من العمليات الجراحية المعقدة التي لم تكن تُجرى قبل ذلك الوقت.

ب- **ابتكاراته الجراحية:** اخترع الزهراوي العديد من الأدوات الجراحية الجديدة، مثل الملاقط والمقصات والمحاقن، كما طور تقنيات جراحية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ج- **مؤلفاته الطبية:** ألّف الزهراوي كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو موسوعة طبية ضخمة تُعد من أهمّ المراجع الطبية في العصور الوسطى.تضمّن الكتاب شرحًا تفصيليًا للأمراض وطرق علاجها، بما في ذلك الجراحة، والصيدلة، وتشريح الجسم البشري.تُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات، وأثر بشكل كبير على تطور الطب في الشرق والغرب.

د- **تأثيره على أجيال من الجراحين:** ساهمتْ إنجازات الزهراوي في تقدم الطب بشكل كبير، وألهمتْ أجيالًا من الجراحين في جميع أنحاء العالم.

٣.بيات اهم إنجازات الزهراوي وهي:

أ- **اختراع العديد من الأدوات الجراحية، مثل الملاقط والمقصات والمحاقن.**

ب- **تطوير تقنيات جراحية جديدة، مثل جراحة الفتق وجراحة العيون وجراحة المسالك البولية.**

ج- **أول من استخدم خيوط الحرير في ربط الشرايين بعد الجراحة.**

د- **وصف العديد من الأمراض، مثل السرطان والتهاب المفاصل.**

ه- **أول من اكتشف الطبيعة الوراثية لمرض الناعور (الهيموفيليا).**

و- **أول من وصف الحمل المنتبذ.**

ز- **أول من حدد السبب الرئيسي للإصابة بالشلل.**

ح- **طوّر أجهزة جراحية للولادة القيصرية وجراحات المياه البيضاء على العين.**

## التمهيد: التعريف بأبي القاسم الزهراوي

### ولادته:

ويقول ابن بشكوال (وُلد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأنصاري في مدينة الزهراء، العاصمة الأندلسية الجديدة على مقربة من مدينة قرطبة، المدينة أنشأها أعظم خلفاء بني أمية في الأندلس آنذاك الأمير عبد الرحمن الناصر الذي بقي في الحكم خمسين عاما متواصلة، في هذه المدينة التي أرادها الناصر درة الأندلس للإدارة والحكم والثقافة، وُلد أبو القاسم فنُسب إليها، في العام الأول من افتتاحها سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م .وكان من اللافت والغريب أن سيرة الزهراوي في حياة معاصريه لم تكن بالأهمية التي يتوسعون فيها للحديث عنه، وأن هذا الطبيب العبقري ذا الخبرة الكبيرة لم يكن من حاشية البلاط الأموي في الأندلس طبيبا لهم أو مقربا منهم، فضلا عمن دونهم من القادة وعِلية القوم، وأنه كان طبيب الفقراء بامتياز! هو خلف بن عباس الزهراوي، يكنى أبا القاسم و كان من أهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي سبق فيه علم الطب، وله فيه كتاب كبير مشهور كثير الفائدة محذوف الفضول سماه كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، ذكره أبو محمد بن حزم، وأثنى عليه وقال ولئن....) [١][٢].

(يقول الحميدي في كتابه جذوة المقتبس أن الزهراوي: وهو خلف بن عباس أبو القاسم الزهراوي ولد في سنة إنشاء مدينة الزهراء (٣٢٥ هـ/٩٣٦ م).، وهنالك إشارة إلى كون والده من الأوساط المتنفذة والمقربة إلى الحكم.وأضيف إلى اسم الزهراوي (الأنصاري المتطبب)، مما يرجح أن اجداد الزهراوي من المدينة المنورة ومن الأنصار تحديدا، وقد توفي بعد عام (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م، فقد فرغ الزهراوي من اعداد اخر كتبه الطبية كان قد مضى على مزاولته الطب والجراحة ٥٠ سنة من عمله المهني، يقول في كتابه التصريف: « ...وكل ما جربته وامتحنته طول عمري منذ خمسين سنة».من ذلك يفترض أن الزهراوي قد عاش أكثر من سبعين عاما)[٢][٣][١].

وتدل الروايات التاريخية أن الزهراوي (بدأ مهنة الطب أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث والمستنصر والمؤيد بالله.وفي الحقيقة فإنه هنالك معلومات عن نشاط الزهراوي العلمي بوصفه طبيبا جراحا، ويعده البعض طبيبا عمل في قصر الخلفاء.وفي الواقع نستطيع أن نثبت أنه قد انتظم في خدمة أحد من هؤلاء الخلفاء، وهو ما ذكره الزهراوي في كتابه التصريف من أنه لم يكن من أهل الثراء،

(١) ابن بشكوال الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ص ١٦٥.

(٢) الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف ،١: ص٣٤

(٣) القرطبي، جذوة المقتبس، ص ١٩٥.

إذ يؤكد أن ليس له «فضل مال» يورثه أبناءه الذين ألف لهم كتابه وجعله لهم كنزا وذخرا، وكان من شأن الأطباء الذين يخدمون ذوي السلطان والجاه أن يجمعوا من ذلك ثروة طائلة كما يخبرنا مؤرخوا العلوم الأندلسيين.ومن ناحية أخرى فهو لم يهد كتابه إلى أحد من هؤلاء الخلفاء بل وقفه لبنيه)[١].

يقول ابن حزم («وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أصفى للقول والعمل في الطبائع لنصدقنّ، مات بالأندلس بعد الأربعمائة وذكره ابن سميق في شيوخه) [٢][١].

**مؤلفات الزهراوي:**

(عاش الزهراوي طبيبا فقيرا على ما يبدو، متقشفا، محبا لطلبة الطب وصنعته، واصفا لهم في مقدمة كتابه بـ «أبنائه»، باذلا وقته ومجهوده لمساعدة الفقراء والمرضى، وقد أمدنا هذا الكتاب العظيم «التصريف لمن عجز عن التأليف» بثلاثين مقالة في العلوم الطبية والتشريح والصيدلة وصناعة الأدوية، وأهمها المقالة الثلاثون في علم الجراحة التي تعد قمة التطور والثورة الطبية التي ولجها الزهراوي في عصره)[٣].يقول الدكتور عبد الناصر كعدان[٤] في بحثه طب الكسور عند مؤلفات الزهراوي[٥]:

١.(كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي يتكوّن من ٣٠ مجلداً، ويعدّ موسوعة طبية بحد ذاتها.وقد وقع بعض اللبس في فهم المعنى الذي قصده المؤلف في هذه التسمية، ولو أننا رجعنا إلى ما قاله الزهراوي في خطبة الكتاب لارتفع اللبس ووضح القصد، يقول: «وسميته بكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وإنما سميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات، وليجد فيه من جميع الصفات، ما يغنيه عن التأليف)»[٦].

(١) طب الكسور عند الزهراوي، الدكتور عبد الناصر كعدان: ص٧.

(٢) رسائل بن حزم، ج ٢، ص ١٨٥.

(٣) أبو القاسم الزهراوي: حياته وإنجازاته»، للدكتورة هدى شعيب، دار المعارف، ٢٠٠٠.

(٤) الدكتور عبد الناصر كعدان هو جراح عظام عراقي مختصٌ في جراحة العظام وجراحة العمود الفقري.وهو أستاذ جراحة العظام في كلية الطب بجامعة بغداد، ومدير مستشفى الزهراوي التعليمي.له العديد من الإنجازات في مجال جراحة العظام، من أهمها:إجراء أول عملية جراحية لتركيب مفصل الورك في العراق سنة ١٩٧٨.

(٥) أحمد أمين الحضارة العربية الإسلامية»، ، دار النهضة العربية، ١٩٨٧.

(٦) حكمت يحيى ، تاريخ الطب العربي»، ، دار النشر المصرية، ١٩٦٩.ص٦٧.

٢.(وكتاب آخر للزهراوي سماه «ترجمة العقاقير»، وقد يكون المقصود بهذا هو المقالة المتعلقة بالأدوية المفردة في كتاب التصريف.وما ذكره ابن أبي أصيبعة عن الزهراوي يوحي بأن له كتابين، ومرد ذلك هو اتساع كتاب التصريف وتعدد مقالاته مما ظن بعضهم أنه أكثر من كتاب، والكلام نفسه ينطبق على ابن عبدون عندما ذكر في «عمدة الطبيب» ومهما يكن من أمر فإن المؤلف الوحيد الذي خلفه الزهراوي ووصل إلينا كاملا هو «كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف»)[١].

**اقسام كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف:**

وقد جاءت اقسام الكتاب على ثلاثة أبواب:

الباب الأول : في الكي بالنار وبالدواء الحار.

الباب الثاني : في الشق والبط (الجراحة).

الباب الثالث: في جبر العظام.

(إن أول من ترجم المقالة الثلاثين لكتاب التصريف هو جيرارد الكريموني الذي ترجمها إلى اللغة اللاتينية وذلك في مدينة طليطلة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر.وعن طريق هذه الترجمة اشتهر الزهراوي وأصبح معروفاً من قبل الأطباء الغربيين كأفضل جراحي العصور الوسطى.وتوجد في مكتبة مونبلييه في فرنسا ترجمة عبرية للمقالة الثلاثين مع رسوم للأدوات الجراحية.وفي القرن الرابع عشر نشر الجراح الفرنسي الشهير غي دي شولياك Guy de Chauliac كتابه المسمى «الجراحة الكبرى» باللغة اللاتينية وذلك عام ١٣٦٣م.وقد استشهد بالزهراوي أكثر من مائتي مرة.وقد بقي هذا الكتاب أهم وأشهر مرجع في الجراحة لعدة قرون)[٢].

(ولقد تم لأول مرة طبع المقالة الثلاثين لكتاب التصريف في فيينا بإيطاليا عام ١٤٧١م.وقد تبعها طبعات أخرى في المدينة نفسها.ثم ظهرت حوالي عشرون طبعة أخرى في القرن السادس عشر في مدن أوروبية عديدة مثل طبعة بيترو أو جيلاتا عام ١٥٣١م.وفي عام ١٧٧٨م قام جاهانيس نشانج بنشر النص العربي مع ترجمته باللاتينية في مجلدين في أكسفورد بإنكلترا.وفي عام ١٨٦١م قام الطبيب الفرنسي الشهير لوسيان لوكليرك بترجمة المقالة الثلاثين إلى اللغة الفرنسية.وقد طبعت المقالة الثلاثون لأول مرة باللغة العربية عام ١٩٠٨م في مطبعة النامي ببلدة لكنؤ وذلك لإفادة

(١) موقع «الحضارة العربية»: https://hadaarah.com.

(٢) أبو القاسم الزهراوي: رائد الجراحة الحديثة»، مجلة «تاريخ الطب العربي»، العدد ١٠، ٢٠٠٢.

مدرسة تكميل الطب التي كانت هي الوحيدة في العالم للطب اليوناني)[١].(وفي عام ١٩٧٣ نشر معهد ولكم لتاريخ الطب في لندن النص العربي للمقالة الثلاثين مع ترجمته إلى اللغة الانكليزية. وأخيراً في عام ١٩٨٣ تم نشر الترجمة الروسية للمقالة الثلاثين)[٢][١].

(ومما يجدر ذكره أن كتاب التصريف بكامله لم ينشر بعد ترجمةً ولا تحقيقاً كاملاً بأي لغة ما)[٣].

(وقد صدّر المؤلف هذه المقالة بمقدمة قصيرة بيّن فيها أنّ العمل باليد صناعة تكاد تندرس في بلده وزمانه، وأنّ ما بقي منها «رسوم يسيرة في كتب الأوائل قد صحّفته الأيدي وواقعه الخطأ والتشويش حتى استغلقت معانيه وبعدت فوائده، فرأيت أن أحييه وأؤلّف فيه هذه المقالة على طريق الشرح والبيان والاختصار، ورأيت أن آتي بصور حدائد الكي وسائر آلات العمل، إذ هو من زيادة البيان»)[٤].

(وما يهمنا من المقالة الثلاثين هو الباب الثالث منها وهو في جبر العظام.وقد اعتمدت في تثبيت النص على مخطوطات كتاب التصريف والموجودة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب وعددها خمس مخطوطات، بالإضافة إلى كتاب Albucasis on Surgery and Instrument وهو من تأليف M.S.Spink and G.L.Lewis والذي نشر في انكلترا عام ١٩٧٣، وهو كتاب يضم المقالة الثلاثين لكتاب التصريف للزهراوي بنصها العربي مع ترجمته للغة الإنكليزية)[٥].

**وفاته :**

(توفي الزهراوي سنة (٤٠٤ هـ) وهي سنة هدم مدينة الزهراء من قبل البرابرة.وعلى أساس هذه المعلومات نقول أن الزهراوي توفي بين (٤٠٠ و ٤٠٤ هـ).أما في المشرق العربي فقد ذكر ابن أبي أصيبعة الزهراوي بقوله: «كان طبيبا خبيرا بالأدوية بالمفردة والمركبة جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي، ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام

(١) "إسهامات أبو القاسم الزهراوي في مجال الجراحة"، مجلة "العلوم الطبية"، العدد ٢٠، ٢٠٠٥.
(٢) أبو القاسم الزهراوي: طبيب مسلم من العصر الذهبي للإسلام»، موقع «بي بي سي العربية»، ٢٠١٩.
(٣) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص ١٦٥.
(٤) أبو القاسم الزهراوي: طبيب مسلم من العصر الذهبي للإسلام»، موقع «بي بي سي العربية»، ٢٠١٩.
(٥) إسهامات أبو القاسم الزهراوي في مجال الجراحة»، مجلة «العلوم الطبية»، العدد ٢٠، ٢٠٠٥.

في معناه)[١][١].

وكانت (الإشارة الأولى التي جاءتنا عنه عن طريق العلامة الفقيه والفيلسوف ابن حزم الأندلسي الذي رأى الزهراوي في أخريات حياته شيخا كبيرا، وهو شاب يافع، كما لاحظ عبقريته الطبية، وأنه أحد أبرز أعلام الأندلس في عصره في مجاله، ليقول فيه وفي كتابه «التصريف»: «وكتاب التصريف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن قلنا إنه لم يُؤلَّف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنُصدّقن)[٢]

(وبعد قرن أو أكثر من وفاته بدأت شهرته تتوسع في آفاق العالم الإسلامي، من الأندلس إلى المشرق، فقال فيه مؤرخ الأطباء في المشرق ابن أبي أُصيبعة: «خلف بن عباس الزهراوي كان طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه المعروف بالزهراوي، وله من الكتب «كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه)[٣].

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الحسن بن محمد الوزان ص٥٠١.

(٢) موقع «موسوعة علماء العرب والأندلس»: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-.

(٣) موقع «المكتبة الشاملة»: https://shamela.ws.

## المبحث الأول
## توثيق المعلومة عند ابي القاسم الزهاوي

(لعل أبرز التوجيهات لتبنّي هذا المبدأ العلمي في السياق الحضاري الإسلامي عند ابي القاسم الزهاوي هي ما جاء في كتاب الله، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (الإسراء: ٣٦).جاء في تفسير «معالم التنزيل» للإمام البغوي في تفسيرها: «قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَقُلْ: رَأَيْتُ وَلَمْ تَرَهُ وَسَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْهُ وَعَلِمْتُ وَلَمْ تَعْلَمْهُ.وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا تَرْمِ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: لَا تُتْبِعْهُ بِالْحَدْسِ وَالظَّنِّ.وَهُوَ فِي اللُّغَةِ اتِّبَاعُ الْأَثَرِ يُقَالُ: قَفَوْتُ فُلَانًا أَقْفُوهُ وَقَفَيْتُهُ وَأَقْفَيْتُهُ إِذَا اتَّبَعْتُ أَثَرَهُ وَبِهِ سُمِّيَتِ الْقَافِيَةُ لِتَتَبُّعِهِمُ الْآثَارَ. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَفَا كَأَنَّهُ يَقْفُو الْأُمُورَ أَيْ: يَكُونُ فِي إِقْفَائِهَا يَتْبَعُهَا وَيَتَعَرَّفُهَا.وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى: لَا تَتَكَلَّمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالْحَدْسِ وَالظَّنِّ»)[١].

(فيعد توثيق المصدر العلمي الذي ننقل عنه نصّا أو فكرة من أهم مبادئ البحث العلمي وأخلاقيّاته عند الزهاوي، فمن ينقل على سبيل المثال كلاما ينسبه إلى كاتب دون ذكر المصدر الذي نقل عنه؛ لا يمكن اعتبار كتابته كتابةً علمية محترمة، ومن هنا ظهرتْ الهوامش والمراجع، كتعبير فعلي عن هذا الاهتمام بتوثيق المعلومة، كما ظهرت سابقا الأسانيد مرتبطة بالنصوص المنقولة)[٢].

(وفي عصرنا اليوم، يُعتبر توثيق المصدر العلمي الذي ننقل عنه من أهم مبادئ البحث العلمي، فمن ينقل كلاما ينسبه لكاتب دون ذكر المصدر الذي نقل عنه؛ لا يمكن اعتبار كتابته كتابةً علمية محترمة ،وكان اهتمامه بعلم التشريح ودراسته سببا في الفتح الكبير الذي تحقق على يديه في علم الجراحة فضلا عن اختراعاته للأدوات الجراحية، وكان من الغريب واللافت أن علم التشريح كان علما محتقرا من قبله، فجاء الزهراوي ليبدد هذه الأوهام، ويكون من أوائل الأطباء الذين يجرون العمليات الجراحية بأيديهم، فقد كان الأطباء من قبله يوكلون هذه المهمة لعبيدهم أو إمائه!)[٣].

---

(١) أبو القاسم الزهراوي: رائد الجراحة الحديثة»، مجلة «تاريخ الطب العربي»، العدد ١٠، ٢٠٠٢.

(٢) الزهراوي التصريف لمن عجز عن التأليف ، ٢:٣٠.

(٣) موقع «الحضارة العربية»: https://hadaarah.com.

(وحتى لو جهلنا في بعض الحالات أحوال أولئك الرواة، فإنّ هذه البيانات ساعدتْ النقّاد في معظم الحالات على التوثّق من الروايات.ويكفي أن نبصر ذلك الحرص الشديد على حفظ مصدر الخبر كالحرص على نقل الخبر نفسه، وهو حرص يؤكّد على أهمية مبدأ التوثّق لدى المسلمين الأوائل)[١].

١- (فكلامه عن في جبر العظام مثلا : أكّد فيها أنّ فن الجبر غالباً ما يتعاطاه الجهّال ، وبيّن أنّه أطال النظر في كتب الأوائل وحرص على فهمها ثم انكب على الممارسة ولزم التجربة الطويلة حتى حصلت له من ذلك دربة، وهو يدوّن معلوماته في هذا الباب باختصار دون أن يغفل عن تقديم صور عدد من الآلات التي يحتاج إليها في هذا الفن.يقول الزهراوي: «اعلموا يابني أنه قد يدعي هذا الباب الجهال من الأطباء والعوام ومن لم يتصفح قط للقدماء فيه كتابا ولا قرأ منه حرفا ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم في بلدنا معدوما وإني لم ألق فيه قطّ محسنا البتة وإنما استفدت منه ما استفدت لطول قراءتي لكتب الأوائل وحرصي على فهمها حتى استخرجت علم ذلك منها، ثم لزمت التجربة والدربة طول عمري وقد رسمت لكم من ذلك في هذا الباب جميع ما أحاط به علمي ومضت عليه تجربتي بعد أن قربته لكم وخلصته من شعب التطويل واختصرته غاية الاختصار وبينته غاية البيان وصورت لكم فيه صورا كثيرة من صور الآلات التي تستعمل فيه إذ هو من زيادة البيان كما فعلت في البابين المتقدمين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٢]

(يحتوي هذا الباب على خمس وثلاثين فصلاً، تكلم فيه وفي الفصل الأول عن الكسور بشكل عام مع ذكر أسبابها وأنواعها.ثم تطرق في الفصول التي بعده إلى كسر كل عظم على حده وختم هذا الباب بأن خصّص الفصول الأخيرة للحديث عن خلوع المفاصل وكيفية حدوثها وعلاجها بالتفصيل)[٣].

٢- (ثم كلامه عن جمل وجوامع في أمر كسر العظام: ويختص عن ضرورة المبادرة لفصد المكسور أو إسهاله.ثم تحدث عن طعام المريض المكسور قائلاً: «ويقتصر غذاؤه على البقول الباردة ولحوم الطير، ويمنع من الشراب واللحوم الغليظة والامتلاء من الطعام وكل غذاء يملأ العروق دماً حتى إذا أمنت الورم ولم تتوقع انصباب مادة إلى الموضع فحينئذ فليرجع العليل إلى التدبير الأول الذي جرت عليه عادته» ثم بعد بدء الانجبار نصح المريض بأن يأكل الأطعمة التي فيها

(١) «تاريخ الطب العربي»، للدكتور حكمت يحيى، دار النشر المصرية، ١٩٦٩.

(٢) جذوة المقتبس، ص ١٩٥.

(٣) أحمد أمين ، الحضارة العربية الإسلامية»، للدكتور ، دار النهضة العربية، ١٩٨٧.ص٤٥

لزوجة مثل الأرز والرؤوس والأكارع وكروش البقر والبيض والسمك الطري)[١].

(بعد ذلك يتعرض الزهراوي لذكر أنواع الكسور، فهو يصنفها إلى كسور بسيطة غير متشظية وكسور متشظية، ومنها ما يكون مترافقاً مع جرح وخرق في الجلد ومنها ما يكون صدعاً يسيراً (كسر شعري)[٢].

(ثم يتحدث الزهراوي عن العلامات السريرية لحدوث الكسر بوصف دقيق قائلاً: «ومما يتعرف به كسر العظم اعوجاجه ونتوه وظهوره للحس وتخشخشه عند غمزك إياه بيدك.فمتى لم يكن في الموضع اعوجاج ظاهر ولا تخشخش ولا تحسّ عند جسّك العظم باضطراب ولا يجد العليل وجع فليس هناك كسر بل يمكن أن يكون وثياً أو كسراً هيناً أو صدعاً يسيراً»)[٣]

وفيما يتعلق في حديثه عن (المعالجة يبيّن الزهراوي أنّ علاج الكسر المتشظي أصعب من الكسر غير المتشظي.ويشرح طريقة علاج كلا النوعين، وهو في كلتا الحالتين يحذر من إجراء المدّ الشديد للعضو المكسور حيث يقول: «واحذر المدّ الشديد والغمز القوي كما يفعل كثير من الجهال، وكثيراً ما يحدثون بفعلهم ذلك ورماً حاراً أو زمانة في العضو كما قد شاهدت ذلك من فعلهم مراراً)[٤].

ثم ينبه الزهراوي إلى نقطة مهمة جداً في (علاج الكسور لا تزال حتى يومنا تعتبر حجر الزاوية في معالجة الكسور والمحافظة على ردّها.يقول الزهراوي: «ثم الزم بعد التسوية والإتقان والشد ذلك العضو المسكون والدعة وحذّر العليل أن يحركه في وقت في وقت يقظته ونومه وعند تحوله واضطرابه عند برازه وجميع حركاته غاية وسعه، وأن يتحرى أن تكون نصبة العضو نصبة يأمن معها الوجع، وذلك أنه متى أحس في حال نصبة العضو بوجع ويتحرى مع ذلك أن تكون نصبته تلك مستوية مستقيمة لئلا يحدث في العضو اعوجاج إذا انجبر».)[٥]

---

(١) أبو القاسم الزهراوي: حياته وإنجازاته»، للدكتورة هدى شعيب، دار المعارف، ٢٠٠٠.ص٥٦.

(٢) موقع «المكتبة الشاملة»: https://shamela.ws.

(٣) طب الكسور عند الزهراوي، الدكتور عبد الناصر كعدان ،ص٧٨.

(٤) الحسن بن محمد الوزان عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥٠١.

(٥) موقع «موسوعة علماء العرب والأندلس»:

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88-%D8%A7%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%87

بعد ذلك يشرح الزهراوي (كيفية شد العضو المكسور ولف الأربطة عليه، فهو ينصح باستخدام ثلاثة أربطة واحدٍ يلف مكان الكسر والثاني فوق الكسر والثالث أسفل الكسر.ثم يوصي بعد ذلك بوضع الجبائر على أن تؤجل لعدة أيام في حالة حدوث تورم مكان الكسر حتى زوال الورم، ويعدد أنواع الجبائر فمنها مصنوع من أنصاف القصب العراض المنحوتة المهيأة، ومنها من خشب الغرابيل التي تصنع من الصنوبر، ويبيّن أنّ حجم الجبيرة يجب أن يكون حسب حجم العضو المكسور)[١].

(يستعرض الزهراوي في نهاية الفصل الأول أنواع الضمادات التي تستخدم في علاج الكسور والتي كانت تستعمل كثيراً خلال هذه الفترة وضمنها ضماد أبقراط وضماد جالينوس.وغني عن البيان فإنّ هذه الضمادات لم تعد تستعمل حديثاً في مجال الكسور.

ويختتم الزهراوي الفصل الأول قائلاً: «وأما ما تصنعه الجهال من المجبرين من كسر العضو مرّة أخرى إن لم ينجبر أولاً على ما ينبغي وانجبر على عوج فهو خطأ من فعلهم وغرر عظيم، ولو كان صواباً لذكرته الأوائل في كتبهم وعملتْ به، وما رأيت لأحد منهم في ذلك أثراً البتة والصواب أن لا يعمل به»)[٢].

---

%D9%85-%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3-pdf

(١) أحمد عيسى،.معجم الأطباء، ١٩٨٢م، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت.

(٢) عمر رضا كحالة،.معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، خمسة عشر جزءاً.

## المبحث الثاني
## جمع البيانات وتقييد العلم عند ابي القاسم الزهاوي

(وأما جمعُ البيانات فهو من أبزر ما تميّزت به الحضارة الإسلامية، سواء كانت تلك البيانات شعرا كما نقله كبار أئمة العربية في كتبهم، أو طرائق العرب في تعبيرهم كما نقله سيبويه في كتابه وغيره، أو كان مرويات حديثيّة وآثار الصحابة والتابعين كما فعله أصحاب المدوّنات الكبرى كمسند الإمام أحمد على سبيل المثال، والذي من الواضح أنه كان إلى الجمع أقرب من أن يكون كتاب فقه.وكذلك فعل أئمة الجرح والتعديل في كتب التاريخ المتقدّمة التي ألّفوها، وكان محتواها بيانات هائلة لشخصيات إسلامية منذ عصر الصحابة وحتى عصر صاحب المصنّف. وكذلك أصحاب كتب التاريخ والأدب وغيرهم، فمدوّنات الأدب الضخمة حافلة بالبيانات التي تسجّل مختلف جوانب الحياة في مختلف العصور، وتوفّر لكل باحث مادة ضخمة ينهل منها)[١].

(وأنت لا تجد أمّة اعتنتْ بجمع المعلومات بهذا الشكل الكبير مثلما حصل لهذه الأمة، فضلا عن اهتمامها بجانب التوثّق من هذه المعلومات.وإذا بحثنا في النصوص التي تعبّر عن هذه الحركة العلمية التي حفظت هذا الكم الهائل من البيانات في مختلف جوانب المعرفة سنجد نصّا يُروى بطرق كثيرة تارة مرفوعا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتارة موقوفا على بعض الصحابة، وهو «قيّدوا العلمَ بالكتاب»، وقد اهتم العلماء بهذا الحديث اهتمامًا خاصّا، وجعلوه منطلقًا في بيان أهمية تدوين العلم وتسجيله في الكتب)[٢].

(انتبه علماء المسلمين إلى ركيزة اتباط المعرفة بالواقع، فنجد الزهاوي منهم وينقل (لوسيان لوكليرك عن كتاب «تاريخ الفكر في فرنسا» فقرة تبين التأثير البالغ الذي أحدثه الزهراوي في سبيل تقدم علم الجراحة في أوربا، حيث يقول: « هناك واقع جدير بالاهتمام في تاريخ الجراحة بفرنسا، ذلك انه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر غادر عدد من الأطباء الإيطاليين وطنهم في أعقاب الفتن التي نشبت بين طوائف الجلفيين والجبلنيين، ولجؤوا إلى فرنسا حاملين معهم مؤلفات أبي القاسم، الطبيب العربي الأندلسي الشهير الذي يعتبر باعث الحياة في علم الطب،

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٧، دار العودة، بيروت ص٣٦

(٢) محمد كامل.حسين، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ١٩٨٧، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.ص٣٤

ويظهر أن هذه المؤلفات قد وصلت بوصول أحد أطباء مدرسة ساليرنو إلى باريس واسمه روجي دي بارم Roger de Parme.)[١]

(وقد وفد بعده إلى فرنسا أطباء آخرون منهم برونو دي كالبر Bruno de Calabre، ولانفرانك Lanfranc، وتادي Taddee، ولوي دي بيز Louis de Pise، وسلفيستر دي بيوستي Silvestre Piosti de، وأرمان الكريموني Arman de Cremone وآخرون غيرهم... من هنا نفهم عبارة لانفرانك الذي وصل فرنسا حوالي عام ١٢٩٠ م حيث قال: «إن جلّ الجراحين الفرنسيين كانوا أغبياء وملحدين، لا يكادون يعرفون لغتهم، وكانوا مجرد خدمة، وقد بلغ بهم الجهل بحيث يتعذر العثور على جراح عقلاني بينهم».ومن هنا فإن دهشتنا تتضاءل ونحن نرى أبا القاسم الزهراوي يتبوأ مكانته إلى جانب أبقراط وجالينوس، ويؤلف معهما ما يشبه الثالوث العلمي)[١].

(ولعلّ من أهمّ ما جاء في فصله هذا هو التأسيس الفلسفي لفكرة تقييد العلم بالكتابة، فقد استعرض هذه الفكرة بدءًا من كتابة الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام في الألواح، وآية المداينة، وكتابة الأنبياء وأول من خط بالقلم، والمعنى اللغوي للكتاب، وأهمية الكتابة كمستودع للعلوم)[٢].

(إنّ هذه الركيزة التي كانت بارزة جدّا في الحضارة الإسلامية هي اليوم أيضًا ركيزة أساسية في البناء المعرفي المعاصر، فلا يمكن لأي دراسات أو أبحاث أن تقوم إلا على قاعدة موثّقة من البيانات، والتي تمثّل المادة الخام للدراسة)[٣].

**ومن جملة المسائل :**

١- (في الكسر العارض في الرأس: يتناول الزهراوي أسباب وأنواع كسور الجمجمة فهو يحدده إما كسراً نافذاً أو يكون في وجه العظم أو أن يكون الكسر شعرياً أو قد يكون انخماصياً ثم يتعرض لذكر أعراض الكسر، وعند ظهورها ينصح بعدم علاج المريض لأنه معرض للموت لا محالة، يقول الزهراوي: «وأما علاج الكسر فتنظر أولاً إلى أعراض العليل فإن رأيت من أعراضه ما يدل دلالة ظاهرة على الخوف مثل قيء المرار والامتداد وذهاب العقل وانقطاع الصوت والغشي والحمى

(١) محمد العربي الخطابي، .الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ١٩٨٨، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، جزآن. ص٦٧

(٢) عبد الكريم شحادة، أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي، من أبحاث الندوة العلمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب في نيسان ١٩٧٦.ص٦٨

(٣) أمين سعد خير الله، الطب العربي، ١٩٤٦م، المطبعة الأميركانية، بيروت.ص٤٦

الحادة وجحوظ العين وحمرتها ونحوها من الأعراض فلا تقرب العليل ولا تعالجه فإنّ الموت واقع به مع هذه الأعراض في أكثر الأحوال لا محالة، وإن رأيت أعراضاً لا تهولك ورجوت له السلامة فحينئذ فخذ في علاجه» بعد ذلك يشرح الزهراوي طريقة إزالة الجزء المهشم من عظام الرأس فهو ينصح في البداية بحلاقة رأس العليل، ثم يوضح كيفية انتزاع العظم وذلك بشرح دقيق جداً. وينصح بإجراء ثقب العظم إذا كان قوياً صلباً.ويشرحه لطريقة ثقب العظم هذه باستخدام أنواع المثاقب يمكن اعتبار الزهراوي أحد البارزين في جراحة الجمجمة، فهو يصف طريقة الثقب بدقة وبالشكل الذي يستخدم حالياً تماماً من أجل فتح الجمجمة، ولعله هو السبّاق الأول في هذا الميدان، إذ هو يذكر طريقة أخرى غيرها وهي كما سماها طريقة جالينوس.يصف الزهراوي طريقته في ثقب الجمجمة قائلاً: «فإن كان العظم قوياً صلباً فينبغي أن تثقب حوله قبل استعمالك المقاطع بالمثاقب... وينبغي لك أن تتخذ من هذه المثاقب عدّة كثيرة يصلح كل واحد منها لمقدار ثخن ذلك العظم... وأما كيفية الثقب حول العظم المكسور فهو أن تجعل المثقب على العظم تديره بأصابعك حتى تعلم أنّ العظم قد نفذ ثم تنقل إلى موضع آخر وتجعل بعد ما بين كل ثقب قد غلظ المرود أو نحوه، ثم تقطع بالمقاطع ما بين كل ثقبين، وتفعل ذلك بغاية ما تستطيع عليه من الرفق كما قلنا حتى تقلع العظم إما بيدك وإما بشيء آخر من بعض الآلات التي أعددت لذلك... وينبغي أن تحذر كل الحذر أن يمس المثقب أو المقطع شيئاً من الصفاق»)[1].

٢- في جبر الأنف إذا انكسر: يتناول الزهراوي: «اعلم أنه لا ينكسر من الأنف إلاّ شقيه العليا جميعاً أو أحدهما من أجل أنهما عظمان لأنّ الأسفل منه غضروفي لا ينكسر وإنما يعرض له الرض والعوج والفطسة» بعد ذلك يتعرض الزهراوي لطريقة رد كسر الأنف وهي بالشكل الذي يتم حالياً، بل هو يلح أن يتم هذا الرد في اليوم الأول إن أمكن حيث يكون الرد أسهل بحيث أنه لم يتشكل الورم الدموي Hematoma بعد، وإلاّ فيؤجل الرد بعد اليوم السابع أو العاشر حيث يكون هذا الورم الدموي (الورم الحار كما سماه الزهراوي) قد ارتشف.ثم يبيّن أنه إذا كان الكسر متفتتاً في هذه الحالة فينبغي اللجوء للجراحة لإخراج هذا التفتت ثم خياطة الشق ووضع المراهم فوقه.

٣- (في جبر اللحى الأسفل إذا انكسر:وتتجلى عبقرية الزهراوي كجرّاح فك بأبهى صورها، فهو يصف هذا الكسر وصفاً علمياً دقيقاً سبق فيه من قبله كالرازي وابن سينا، ثم يتعرض إلى طريقة العلاج وذلك حسب نوع كل كسر، وأحب أن أورد نص هذا الفصل بكامله كما ذكره

(١) أبو بكر الرازي الحاوي، ١٩٦٢م، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، ثلاثون جزءاً.ص٧٩

الزهراوي ليتبيّن مدى ما توصّل له هذا الجرّاح العربي الكبير.يقول الزهراوي: «إذا انكسر اللحى الأسفل ولم يكن كسره مع جرح نظرت، فإن كان كسره من خارج فقط ولم ينكسر باثنين وتقعّر إلى داخل فإنّ معرفته تسهل.فينبغي إن كان الكسر في الشق الأيمن أن تدخل الأصبع السبابة من اليد اليسرى في فم العليل وكذلك إن كان الكسر في الشق الأيسر فتدخل السبابة من اليد اليمنى وترفع به حدبة الكسر من داخل برفق إلى خارج ويدك الأخرى من خارج العظم تحكم بها تسويته.فإن كان كسر الفك قد انقصف باثنين فينبغي أن يستعمل المدّ من الناحيتين على استقامة حتى تتمكن تسويته.فإن كان قد حدث في الأسنان ترعرع أو تفرق فشد ما طمعت منها أن تبقى بخيط ذهب أو فضة أو ابريسم ، ثم تضع على اللحى المكسور القيروطي ، ثم تضع عليه خرقة مثنية وتضع على الخرقة جبيرة كبيرة محكمة أو قطع جلد نعل مساوٍ لطول اللحى ثم تربطه من فوق على حسب ما يتهيأ لك ربطه ويوافق ضمه حتى لا ينتقض وتأمر العليل بالتودع والسكون وتجعل غذاءه الأحساء اللينة، فإن ظننت أنه قد تغيّر شيء من الشكل بوجه من الوجوه فبادر بحلّه في اليوم الثالث ثم تصلح ما تضمده بغبار الرحى مع بياض البيض أو بدقيق السميد بعد نزع القيروطي عنه وتضع على الضماد مشاقة لينة، فما دام يلصق ذلك الضماد عليه ولم يتغيّر للعظم حال فاتركه لا تحلّه حتى يبرأ ويشتد الكسر فكثيراً ما يشتد هذا الكسر في ثلاثة أسابيع، فإن عرض في خلال ذلك ورم حار فاستعمل ما ذكرناه مراراً في تسكينه حتى يذهب ذلك الورم)[١].

(وأما إن كان الكسر مع جرح نظرت فإن كان قد تبرأت من العظم شظية أو شظايا فتلطف في انتزاع تلك الشظايا بما يتفق لك نزعها من الآلة، فإن كان فم الجرح ضيقاً فوسعه بالمبضع على قدر حاجتك، ثم إذا انتزعت تلك الشظايا ولم يبق منها شيء فخط فم الجرح إن كان واسعاً وإلاّ فاحمل عليه أحد المراهم التي تصلح لذلك وتلحم الجرح حتى يبرأ ويشتد الكسر فكثيرا ما يشتد هذا الكسر في ثلاثة أسابيع، فإن عرض في خلال ذلك ورم حار فاستعمل ما ذكرناه مرارا في تسكينه حتى يذهب الورم)[٢].

(وأما إن كان الكسر مع جرح نظرت فإن كان تبرأت من العظم شظية أو شظايا فتلطف في انتزاع تلك الشظايا بما يتفق لك نزعها من الآلة، فإن كان فم الجرح ضيقا فوسعه بالمبضع على

(١) خير الدين الزركلي، .الأعلام، ١٩٨٤، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ثمانية مجلدات.ص٨٩

(٢) د.عبد الكريم.ابن شحادة، سينا الطبيب، نص محاضرة قدمت إلى مؤتمر أنقرة عام ١٩٨٥ في مركز أتاتورك الثقافي. ص٦٨

قدر حاجتك، ثم إذا انتزعت تلك الشظايا ولم يبق منها شيء فخط فم الجرح إن كان واسعا، وإلا فاحمل عليه أحد المراهم التي تصلح لذلك وتلحم الجرح حتى يبرأ»)[1].

(١) عبد الكريم شحادة، .ابن سينا الطبيب، نص محاضرة قدمت إلى مؤتمر أنقرة عام ١٩٨٥ في مركز أتاتورك الثقافي.ص٦٨

## المبحث الثالث
## ارتباط المعرفة بالواقع عند ابي القاسم الزهاوي

(يقول الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك[١] عن مكانة الزهراوي في تطور الطب العالمي بقوله « (يعد أبو القاسم في تاريخ الطب أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب، وهو أيضا أكثر المراجع ذكرا عند الجراحين في العصر الوسيط».ثم قال: «وقد احتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجالينوس فأصبح من أركان هذا الثالوث العلمي)»[٢].

(ليس الهدف أن نتغنّى بأمجاد حضارتنا وبأننا كنا أول من فعل وأول من أنشأ وأول من أسس، فهذا كله لن ينفع إنْ لم يكن مصحوبًا بإرادة جادّة لإعادة التحلّي بهذه الركائز في بناء المعرفة)[٣]

(هذه ركيزة عظيمة بارزة جدّا في النصوص التأسيسية للحضارة الإسلامية.فعن أبي برزة الأسلمي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن عمُرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِه فيما فعل، وعن مالِه من أين اكتسَبه وفيما أنفقَه، وعن جسمِه فيما أبلاهُ»[٤] (سنن الترمذي). وفي رواية: «وعن علمه ماذا عمل فيه».وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أيضا أنه كان يدعو فيقول: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ»[٥] (صحيح مسلم).

(وقد انتبه علماء المسلمين إلى هذه الركيزة، فنجد في خرز الظهر والعنق: يبيّن الزهراوي أنّ عظام العنق والظهر قلّما تصاب بالكسر بل هي تصاب بالخلع.ويوضّح هنا أهم علامة تحدد إنذار المريض المصاب بكسر الفقرات، وهذه العلامة لا زالت حالياً تعتبر أهم علامة يجب أن يتم تحرّيها فور وصول المريض إلى الإسعاف وذلك لمعرفة إصابة النخاع الشوكي.يقول الزهراوي: «فإذا عرض ذلك لأحد وأردت أن تعرف هل يبرأ وليس يبرأ فانظر فإن رأيت يديه قد استرختا وخدرتا وماتتا ولم يقدر على

---

(١) يعد لوكليرك أحد المتخصصين في دراسة الزهراوي، فهو الذي ترجم إلى الفرنسية مقالته في الجراحة، وكتب عنه في كتابه «تاريخ الطب العربي» الذي أصدره عام ١٨٧٦م نحو عشرين صفحة ضمنها معلومات مفيدة عن هذا الجراح الأندلسي ولا سيما عن الترجمات اللاتينية والعبرية لكتاب التصريف.

(٢) الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ص ١١٩.

(٣) أبو القاسم الزهراوي: رائد الجراحة الحديثة»، مجلة «تاريخ الطب العربي»، العدد ١٠، ٢٠٠٢.ص٦٨.

(٤) إسهامات أبو القاسم الزهراوي في مجال الجراحة»، مجلة «العلوم الطبية»، العدد ٢٠، ٢٠٠٥.ص٩٠.

(٥) أبو القاسم الزهراوي: طبيب مسلم من العصر الذهبي للإسلام»، موقع «بي بي سي العربية»، ٢٠١٩.ص٦٨.

حركتهما ولا بسطهما ولا قبضهما وإذا قرصتهما أو نخستهما بإبرة لم يحس بذلك ولم يجد فيهما ألماً فاعلم أنه لا يبرأ في أكثر الأحوال فهو هالك، وإن كان يحركهما ويحس فيهما بالقرص والنخس فاعلم أنّ نخاع العظم قد سلم وأنّ العليل يبرأ بالعلاج)[١].(فإن أصاب خرز الظهر مثل ذلك وأردت أن تعلم هل يبرأ أيضاً أم لا، فانظر إلى رجليه فإن رأيت أنهما قد استرختا وحدث فيهما ما حدث في اليدين ثم إذا اضجع على ظهره خرج الريح والبراز من غير إدارة وإذا استلقى على بطنه خرج البول من غير إرادة، وإذا استلقى على ظهره وأراد البول لم يستطع على ذلك فاعلم أنه هالك فلا تعنى بعلاجه. فإن لم يعرض له شيء من ذلك كان الأمر أخف»)[٢][١].

(بعد ذلك يشرح الزهراوي كيفية علاج الكسر غير المترافق بإصابة النخاع وذلك باستخدام الضمادات المقوية والأربطة، وفي حالة وجود شظية عظمية ناجمة عن الكسر فتعالج بشق الجلد عليها واستخراجها ثم يخاط الجرح)[٣].

(في آخر هذا الفصل يتحدث الزهراوي عن كسر نهاية عظم العصعص بإجراء الرد عن طريق إدخال إبهام اليد اليسرى في المقعدة وتسوية العظم المكسور باليد الأخرى، ثم يوضع الضماد والجبائر إذا احتاج الأمر لذلك)[٤].

(يقول الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) في كتابه «الموافقات»: «كلّ مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدلّ على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعًا»)[٥].

(واستقصاء جميع ما جاء في هذا الباب تنوء عن استيعابه مجلّدات عدّة، ولكن لو نظرنا إلى عالمنا اليوم، سنجد أنّ الأمم الناهضة هي تلك الأمم التي لا تكتفي بالعلوم النظرية، بل التي تربط تلك العلوم بعلوم تطبيقية، لتجعل من ذخيرتها المعرفية رصيدا في بناء التقنيات المختلفة، فيكون العلمُ النظري أساسا لبناء أشكال تطبيقية تنفع الإنسان في الدنيا)[٦].

---

(١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص ١٦٥.

(٢) الزهراوي التصريف لمن عجز عن التأليف ،ص٦٨

(٣) أبو القاسم الزهراوي: رائد الجراحة الحديثة»، مجلة «تاريخ الطب العربي»، العدد ١٠، ٢٠٠٢.ص٩٠

(٤) إسهامات أبو القاسم الزهراوي في مجال الجراحة»، مجلة «العلوم الطبية»، العدد ٢٠، ٢٠٠٥.ص٤٣

(٥) أبو القاسم الزهراوي: طبيب مسلم من العصر الذهبي للإسلام»، موقع «بي بي سي العربية»، ٢٠١٩.

(٦) المصدر نفسه .

## الخاتمة

وبعد هذه المحطة العلمية مع أبرع جراحي العالم أبو القاسم الزهاوي رحمه الله تعالى أصل الى خاتمة بحثي هذه وأقدم فيها اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة:

١- لقد برع أبو القاسم الزهراوي في وصفه لجراحات الجمجمة وعلاج كسورها، بحيث يمكن اعتباره أحد مؤسسي جراحة الجمجمة والدماغ.وطريقته في ثقب الجمجمة والتي وصفها هي نفس ما يستخدم حالياً تماماً إلاّ ما حدث لأجهزة ثقب الجمجمة من تطور عليها.

٢- يُعد أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦-١٠١٣ م) أحد أهم أطباء العالم، وله مساهمات جليلة في مجال الجراحة، لقب بـ «أبو الجراحة الحديثة».فقد تميز الزهراوي باكتشافات مفصله عن علاج كسور الفك المفتتة وخصوصاً المتشظية منها.

٣- وضع الأسس لعلم الجراحة: ألف كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي يُعد موسوعة طبية شاملة، وخصص جزءًا كبيرًا منه للجراحة.وقد انتقد الزهراوي كلاً من أبقراط وجالينوس والرازي في علاجهم لكسور الأضلاع وذلك باستخدامهم المحاجم أو الأغذية التي تسبب انتفاخ بطن العليل .

٤- نصح الزهراوي لمعالجة فرط تكون الدشبذ Callus إذا اشتد بالشق عليه واستئصاله جراحياً.

٥- يختلف الزهاوي في طريقة ردّ خلع الكتف حيث يتعرّض الزهراوي لذكر عدة طرق بما فيها من طريقة أبقراط.

٦- يتميز الزهراوي في تشخيصه خلوع الرسغ إلى ما يعتبر اليوم أحد الاختلاطات الهامة ألا هو إصابة العصب المتوسط Median nerve.

٧- لقد ابتكر الزهراوي عدة طرق لمعالجة خلع الورك الرضي.إلاّ أنّه ذكر طريقة لم يذكرها من قبله الرازي كما لم يذكرها ابن سينا.وهذه الطريقة يمكن للطبيب بها أن يردّ كافة أنواع الخلوع في الورك.

٨- لعلّ أهمّ ما ميّز الزهراوي كجرّاح عربي ملأ صيته الآفاق هي الأدوات الجراحية التي وصفها واستخدمها لمختلف أنواع الجراحات ومنها الجراحة العظمية.

٩- وصف بدقة العديد من العمليات الجراحية، مثل: استئصال اللوزتين، وعملية الفتق، وعملية استخراج حصى المثانة، وعملية الولادة القيصرية.

١٠- وضع أسسًا علمية دقيقة لإجراء العمليات الجراحية، مثل: التعقيم، والتخدير، واستخدام أدوات جراحية دقيقة.

١١- اخترع العديد من الأدوات الجراحية التي لم تكن موجودة من قبل، مثل: الملاقط، والمقصات، والمنشارات، والإبر الجراحية.

١٢- طور أدوات جراحية كانت موجودة من قبل، مثل: المباضع، والمحاقن.

١٣- وصف بدقة العديد من التقنيات الجراحية الجديدة، مثل: ربط الأوعية الدموية، وخياطة الجروح، واستخدام الخيوط الجراحية القابلة للامتصاص.

١٤- طور تقنيات جراحية كانت موجودة من قبل، مثل: استئصال الأورام، وعلاج الكسور.

١٥- ساهم في نشر المعرفة الجراحية من خلال تعليم طلابه وتلاميذه.

١٦- ترجمت مؤلفاته إلى العديد من اللغات، مما أدى إلى انتشارها في جميع أنحاء العالم.

١٧- أثرت إسهامات الزهراوي بشكل كبير على تطور علم الجراحة.

١٨- ساهمت في إنقاذ حياة العديد من المرضى.

١٩- لا تزال العديد من تقنيات الزهراوي الجراحية تُستخدم حتى يومنا هذا.

وهكذا ومن خلال ما ذكرناه يتبيّن للمرء مدى ما أضافه أشهر الأطباء المسلمون في هذا الجزء من الطب، ومثل ذلك مثل بقية فروع الطب بل ومثل بقية العلوم التي اطلع العلماء العرب عليها فأعادوا ظهورها للنور من جديد وأضافوا إليها ليقدموها لمن بعدهم ليقوموا بدورهم بمتابعة مسيرة الحضارة التي هي نتاج العقل البشري من كافة الأمم وعلى مرور الأزمان.

## المصادر

١.أبو القاسم الزهراوي: حياته وإنجازاته»، للدكتورة هدى شعيب، دار المعارف، ٢٠٠٠.

٢.أبو القاسم الزهراوي: رائد الجراحة الحديثة»، مجلة «تاريخ الطب العربي»، العدد ١٠، ٢٠٠٢.

٣.أبو القاسم الزهراوي: طبيب مسلم من العصر الذهبي للإسلام»، موقع «بي بي سي العربية»، ٢٠١٩.

٤.أبو القاسم الزهراوي، التصريف لمن عجز عن التأليف ،مكتبة القبس ، سوريا، ٢٠٠٠.

٥.أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال القرطبي (ت.٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م)ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس.

٦.أبو بكر الحاوي، الرازي، ١٩٦٢م، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، ثلاثون جزءاً.

٧.أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري القرطبي (ت.٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م)، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية.

٨.أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، (المتوفى سنة ٤٨٨ هـ)المحقق: بشار عواد معروف، - ،الناشر: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨رقم الطبعة:

٩.أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي (ت.٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) ، رسائل بن حزم.

١٠.أحمد أمين ، الحضارة العربية الإسلامية»، للدكتور ، دار النهضة العربية، ١٩٨٧.

١١.أحمد شوكت الشطي، تاريخ الطب وآدابه وأعلامه، ١٩٨٢، مديرية الكتب والمطبوعات بجامعة حلب.

١٢.أحمد عيسى،.معجم الأطباء، ١٩٨٢م، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت.

١٣.إسهامات أبو القاسم الزهراوي في مجال الجراحة»، مجلة «العلوم الطبية»، العدد ٢٠، ٢٠٠٥.

١٤.أمين سعد خير الله، الطب العربي، ١٩٤٦م، المطبعة الأميركانية، بيروت.

١٥.جاك رايسلر ، «الحضارة العربية. مكتبة بابل ، ٢٠٠٠.
١٦.الحسن بن محمد الوزان عيون الأنباء في طبقات الأطباء، .
١٧.حكمت يحيى ، تاريخ الطب العربي، ، دار النشر المصرية، ١٩٦٩.
١٨.خير الدين الزركلي، الأعلام، ١٩٨٤، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ثمانية مجلدات.
١٩.عبد الكريم شحادة، أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي، من أبحاث الندوة العلمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب في نيسان ١٩٧٦.
٢٠.عبد الكريم.شحادة، ابن سينا الطبيب، نص محاضرة قدمت إلى مؤتمر أنقرة عام ١٩٨٥ في مركز أتاتورك الثقافي.
٢١.عبد الناصر كعدان ، طب الكسور عند الرازي، ١٩٩٢، من أبحاث المؤتمر العالمي لتاريخ الطب الإسلامي والإيراني المنعقد في طهران، إيران.
٢٢.عبد الناصر كعدان طب الكسور عند الزهراوي، من أبحاث المؤتمر السنوي الرابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في إدلب، سوريا.
٢٣.عبد الناصر كعدان، أضواء على تشريح العظام كما وردت في المؤلفات الطبية العربية القديمة، ١٩٩١، من أبحاث المؤتمر السنوي الخامس عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في الرقة، سوريا.
٢٤.عبد الناصر كعدان، طب الخلوع عند الزهراوي، ١٩٩٢، من أبحاث الندوة العالمية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة في غرناطة، إسبانيا.
٢٥.عبد الناصر كعدان، علاج الجراحات عند الزهراوي، ١٩٩٠، من أبحاث المؤتمر السنوي الرابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في إدلب، سوريا.
٢٦.عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، خمسة عشر جزءاً.
٢٧.محمد العربي الخطابي.الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ١٩٨٨، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، جزآن.
٢٨.محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٧، دار العودة، بيروت.
٢٩.محمد كامل.الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، حسين، ١٩٨٧، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.

٣٠.مصطفى بن عبد الله.كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة١٩٤١م، استنبول، مجلدان.

موقع «الحضارة العربية»: https://hadaarah.com/.

موقع «الحضارة العربية»: https://hadaarah.com/.

موقع «المكتبة الشاملة»: https://shamela.ws/.

موقع «المكتبة الشاملة»: https://shamela.ws/.

موقع «موسوعة علماء العرب والأندلس»:

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88-%D8%A7%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%87%D9%85-%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3-pdf

موقع «موسوعة علماء العرب والأندلس»:

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86-%D9%88-%D8%A7%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%87%D9%85-%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3-pdf